العمر يزيد وينقص بنص القرآن والحديث ومقتضى العقل والدليل

جوابا لسؤال من غزة

كنت في جلسة مع جماعة في يوم قتل فيه شاب من غزة في ريعان شبابه فسألني السيد أحمد مرشد من بين الحاضرين قائلا: (هل لو لم يقتل هذا الشاب لعاش في الحياة أكثر مما عاش أم أنه قد انتهى عمره فلا بد من موته على كل حال؟)

فقلت له: لو لم يقتل هذا الشاب لربما عاش أكثر مما عاش لأن جسمه كان قابلا للحياة مدة أخرى من الزمن ولكن الله تعالى يعلم أنه يقتل في هذا اليوم وعلم الله لا يتخلف أبدا ولا أعني بذلك أن علم الله قد جبر القاتل على قتله لأن العلم إنما هو انكشاف فقط لا تأثير له في المعلوم. فالقاتل قد فعل ذلك باختياره بدون أن يجبره علم الله على قتله.

زيادة العمر ونقصانه إنما يكونا بأسباب طبيعية ومؤثرات خارجية

وأن علم الله منطبق على ما في الخارج من هذه الزيادة

أو النقصان

إن القرآن الكريم يصرح بأن عمر الإنسان يزيد وينقص وأن زيادته ونقصانه معلومة لله تعالى لا مجهولة له. قال تعالى في سورة فاطر-١١ (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب). والمراد من الكتاب هنا هو المراد من الكتاب في قوله تعالى: (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب) أي أن المراد بهما في الآيتين واحد هو العلم بدليل قوله تعالى في صدر هذه الآية: (إلا يعلمها) وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا. فالكتاب واللوح المحفوظ هو علم الله الذي لا يتخلف والذي لا يجبر الفاعل على فعله وإلا لما استحق عقابا ولا ثوابا. ولو كان المقتول قد استوفى عمره بهذا القتل كما يفهم الناس لما عبر الله في حق أمثاله بقوله: (ينقص من عمره) إذ أن إنقاص العمر معناه قصف العمر قصفا قبل أن يستكمله ومن هذا تعلم أيها السائل أن هذا الشاب قد انتقص عمره انتقاصا وأنه قصف قصفا وأنه لو لم يقتل لربما عاش أكثر مما عاش وأن ذلك معلوم لله تعالى كما يفهم ذلك من نص القرآن وصريح العقل.

ولكن بعض الحاضرين من العلماء وغيرهم لم يرضوا بما قلته وصمموا على القول بأن المقتول لو لم يقتل في تلك اللحظة لمات بسبب آخر غير القتل وأنه لا بد من موته في تلك اللحظة على كل حال لأن العمر لا يزيد ولا ينقص أبدا بحال من الأحوال.

ولما كان هذا البحث مما يجهل حقيقته كثير من الناس فإني أريد أن أفصله هنا فأقول: إن المشهور عند عموم المسلمين أن عمر الإنسان محتوم لا يزيد ولا ينقص لحظة واحدة استنادا على آيات وأحاديث كثيرة ولكننا نجد هذه الآية المتقدمة تصرح بأن العمر يزيد وينقص وكذلك أحاديث كثيرة تدل على ذلك أيضا كقوله (ص): (الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار) وقوله أيضا: (الصدقة تزيد في العمر) ونحو ذلك من الأحاديث الكثيرة ولذلك جاز الدعاء بطول العمر كقولهم (أطال الله عمر أمير المؤمنين) وأطال الله عمرك وبقاءك ونحو ذلك. وقد أكثر المفسرون في هذا البحث بما لا فائدة فيه ولا جدوى وقد استقر رأي أكثرهم على أن زيادة العمر ونقصانه تكون بزيادة اكتساب أعمال الخير فيه ونقصانها وأن لم ينقص العمر بالزمن ولم يزد.

ولكنني أقول أن العمر يزيد وينقص بالزمن أيضا بلا شك ولا ريب كما هو صريح هذه الآية وأنني أقدم لك مثلا على ذلك وهو إنك لو وضعت في القنديل أوقية زيت مثلا وكانت هذه الأوقية تكفي عادة لإضاءة هذا القنديل من أول الليل إلى الصباح ثم تفرغ وينطفئ المصباح فالعمر لهذا الضوء هو اثنا عشرة ساعة مثلا ولكن قد يعرض لهذا الضوء أن ينطفي قبل مضي الاثنى عشر ساعة بأسباب أخرى غير فراغ الزيت كأن تهب عليه ريح عاصفة فتطفئه أو تطفئه أنت بإرادتك واختيارك فيكون العمر لهذا الضوء قد نقص عن المدة التي هو مستعد وقابل للإضاءة فيها وقد يزيد عنها إذا زيد في الزيت.

وكذلك حياة الإنسان وعمره فد ينقص عن العمر المستعد له والقابل إليه جسمه وقوة بدنه ودمه بأن يقتل برصاصة مثلا وهو في ريعان الصبا أو شرخ الشباب فيقصف عمره قصفا وقد يزيد عمره بازدياد نشاطه وكثرة رياضته وحسن طعامه وقوة دمه بعد ضعفه. فإذا كان العمر الطبيعي أو العادي للإنسان مائة سنة مثلا فقد ينقص عنها بأسباب طارئة كغرف أو حرق أو قتل أو مرض شديد وقد يبلغ المئة سنة وهو العمر العادي مثلا وقد يزيد عنها إذا تحسنت قواه أو زادت عن أصلها فيبلغ مئة وخمسين سنة مثلا كما يحصل كل ذلك ويشاهد مشاهدة ظاهرة مما لا يقدر أن ينكره أحد.

ولكن لما كان علم الله تعالى عاما شاملا لكل شيء ولكل طارئ وحادث كما قال تعالى، (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وكما قال: (لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) كان مما لا شك فيه أنه تعالى يعلم أن زيدا ستصيبه رصاصة مثلا في ساعة كذا أو سيغرق في البحر في يوم كذا فيقصف عمره قصفا وينقص مقداره الطبيعي القابل له جسمه وعلم الله لا يتخلف ولا يتغير ولا يتبدل، ومن هنا نشأ القول بأن العمر لا يزيد ولا ينقص أي بالنسبة لعلم الله تعالى لا بالنسبة للعمر الطبيعي. فالعمر الطبيعي يزيد وينقص بأسبابه الطبيعية ومؤثراته الخارجية وإن كان لا يزيد ولا ينقص لحظة واحدة حسب علم الله تعالى لأنه يعلم الأشياء حسبما تقع في الخارج بأسبابها ولكن علمه بذلك لم يؤثر في هذه الزيادة أو النقصان لأنه انكشاف فقط لا يؤثر في المعلوم شيئا بل الذي يؤثر فيه إنما هو أسباب أخرى طبيعية، أو خارجية. وعلم الله ليس من جملة هذه الأسباب لما عرفت أنه انكشاف فقط وهذا هو معنى قوله تعالى: (وما يعمر من عمر ولما ينقص من عمره إلا في كتاب) أي أن التعمير وإنقاص العمر الحاصلين للإنسان بأسبابهما الطبيعية والخارجية معلومان لله تعالى ومكتوبان عنده في كتاب. وعلى كل فإن هذين المعنيين – أي زيادة العمر ونقصانه حسب الطبيعة وعدم زيادته ونقصانه حسب علم الله تعالى – قد تضمنتها هذه الآية وصرحت بهما معا وليس بعد تصريح الآية مجال لقائل. وعليه فقد أصبح لا داعي لتخبط المفسرين وسلوكهم طرق التعسف والتأويل بلا مسوغ ولا دليل.

الآيات التي يستدلون بها على عدم نقص العمر وزيادته لا تدل واحدة منها على ذلك أبدا وإنما تدل على أمور أخرى. وتحقيق هذا الموضـــوع

إن الآيات التي يستدلون بها على عدم نقص عمر الإنسان وزيادته لا تدل واحدة منها على ذلك أبدا وإنما تدل على أمور أخرى.

الآية الأولى قوله تعالى في سورة الرعد -٤٠- : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

فإن معنى هذه الآية أن لكل مدة وكل أجل من الزمان كتاب ينزله الله تعالى على رسول من الرسل كما يصرح بذلك صدر هذه الآية حيث تقول: (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك). وحيث تقول: (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب). وحيث تقول: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) أي أنه لا يمكن أن يأتي رسول من الرسل بآية من الآيات أو بأي حكم من الأحكام أو بأية شريعة من الشرائع إلا بأذن الله، لأن الله تعالى قد جعل لكل زمن وكل اجل مخصوص كتابا مقدسا مخصوصا كما جعل التوراة التي نزلت على موسى للزمن الذين ما بين موسى وعيسى وكما جعل الإنجيل للزمن

وللأجل الذي بين عيسى ومحمد (ص). فالله تعالى كلما أرسل رسولا لأمة بكتاب جديد يمحو من الكتاب القديم ما يشاء أن يمحوه لمصلحة الأمة الجديدة ويثبت لهم منه ما يشاء أن يثبته. وعليه فهذه الآية لا دخل لها بعمر الإنسان وأجله ولا بعد زيادته ونقصانه.

الآية الثانية قوله تعالى في سورة الأعراف -٣-: (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فإن معناها أن كل أمة من الأمم لها أجل ومدة معلومة تعيش فيها بالعزة والسعادة، والرفاء، والقوة، والسيطرة، والحكم والملك والعظمة ثم تضمحل وتتلاشى وتفنى فإذا جاء أجل اضمحلالها وفنائها وهلاكها بسب من الأسباب الطبيعية فلا تتأخر عنه ساعة ولا تتقدم وهذه الآية لا تعني عمر الإنسان وأجله.

الآية الثالثة قوله تعالى: (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون). فهذه الآية هي بمعنى الآية التي قبلها تماما بدليل قوله قبلها: (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) فإنها صريحة في أن لكل أمة رسول يقضي بينهم بقسط دينه وأحكام شريعته مدة من الزمن ثم تضمحل هذه الأمة بانقضاء أجل سيطرتها وحكمها.

الآية الرابعة في قوله تعالى في سورة سبأ -٣٠-: (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (فهذه الآية خطابا للمشركين الذين عادوا رسول الله (ص) وعاندوه فأنذرهم الله بالعذاب ووعدهم به كما في الآية قبلها فلما وعدهم بذلك قالوا متى هذا الوعد فقال الله: (قل لكم ميعاد يوم) واليوم في اصطلاح الكتب المقدسة سنة كاملة –أي أنه بعد مضي سنة كاملة من هذا الوعد والإنذار لا بد وأن تضمحلوا وتهلكوا وتفنى قوتكم وشوكتكم وقد حصل لهم ذلك ما وعد الله فإنه بعد مضي سنة كاملة من هذا الوعد حصلت وقعة بدر الكبرى فهلك جميع صناديد قريش وكبراؤهم وعظماؤهم فاضمحل المشركون وتضعضعت قواهم وفنيت شوكتهم.

فأنت ترى أن هذه الآية أيضا لا دخل لها في بيان عدم زيادة العمر ونقصانه.

الآية الخامسة قوله تعالى: (وما أهلكنا من قرية إلا ولهم كتاب معلوم ما تستبق من أمه أجلها وما يستأخرون) أي ما أهلكنا قرية من القرى إلا وكان لها كتاب معلوم وتاريخ مسطور وأعمال مسجلة عليهم يستحقون بها هذا الإهلاك والتدمير فلا تسبق أمة أجلها الذي تستحق فيه الهلاك ولا تستأخر عنه.

الآية السادسة في قوله تعالى في سورة المنافقون -١١-: (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) فمعناها أنه إذا جاء أجل نفس من النفوس الإنسانية أي سواء كان الأجل زائدا عن الأجل الطبيعي بأن كان الإنسان معمرا أو كان هذا الأجل ناقصا عن الأجل الطبيعي بأن قتل الإنسان قتلا وقصف عمره قصفا. أي فهذه الآية مع كونها نصا في أجل الإنسان فإنها لا تدل على أن أجله الطبيعي لا يزيد ولا ينقص وإنما تدل على أنه متى جاء أجله سواء كان زائدا معمرا أو ناقصا مقصوفا فإنه تعالى لا يؤخره لحظة واحدة متى حضر هذا الأجل الزائد أو الناقص الذي قد تكون زيادته أو نقصه بسبب عمل من أعماله لأن الله تعالى يعلم كل ما سيعمله الإنسان مما يوجب نقص عمره أو زيادته.

الآية السابعة قوله تعالى في سورة آل عمران ١٤٠ (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) فاسمع ما قاله تفسير المنار نقلا عن تفسير الأستاذ الإمام في معنى هذه الآية (أي ليس من شأن النفوس ولا من سنة الله فيها أن تموت بغير إذنه ومشيئته التي يجري بها نظام الحياة وارتباط الأسباب بالمسببات. وقد يتوهم بعض أصحاب العقول المفيدة والأفهام الضيقة أن كون الموت مؤجلا بأجل محدود في علم الله ينافي كونه بأسباب تجرى على سنن الله وليس لهذا الوهم أدنى شبهة في العقل فيرد بالدلائل النظرية ولا من الوجود فيفسر بالسنن الاجتماعية. أن لكل عمر أجلا ولكل أجل قدرا والأقدار هي السنن التي يقوم بها النظام والحكم فيها مرتبطة بالأحكام وإن خفى بعضها على بعض الأفهام.) انتهى.

أقول: أن مما يفهم صريحا من كلام الإمام أن كون العمر مؤجلا ومؤقتا ومحدودا في علم الله ومكتوبا عنده لا ينافي أن ينقص عن العمر الطبيعي لبعض الأسباب الطبيعية الطارئة أو أن يزيد لبعض الأسباب أو السنن الإلهية الجارية لأن كلا من هذه الأسباب والمسببات معلومة له ومكتوبة عنده حسب ما ستقع في الخارج وطبق ما سيختاره الإنسان في أعماله الاختيارية الحاصلة بإرادته الحرة التي وهبها الله له ليكون بها مستحقا للثواب أو العقاب والتي قد تكون سببا في القتل أو الموت وهذا مما لا شبهة فيه وهذا هو الذي أعنيه في هذا البحث.

الآية الثامنة قوله في سورة آل عمران ١٥٤- (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا. قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) أي لبرز الذين علم الله أنهم سيقتلون ولكن بروزهم ما كان إلا باختيارهم وإرادتهم وعزمهم وتصميمهم فالله تعالى يعلم أنهم سيختارون البروز وأنهم سيقتلون.

قال في تفسير المنار نقلا عن الأستاذ الإمام ما نصه: (وتحرير الكلام في ذلك أن الله تعالى بين لنا في كتابه ثلاث حقائق وبين لنا ضلال الذين ضلوا بها. الحقيقة الأولى أنه تعالى هو خالق كل شيء وبيده ملكوت كل شيء وبمشيئته يجري كل شيء.

الحقيقة الثانية: أن خلقه وتدبيره إنما يجري بحسب مشيئته وحكمته على سنن مضطردة ومقادير معلومة.

الحقيقة الثالثة: أن من جملة سننه في خلقه وقدره في تدبير عبادة أن الإنسان خلق ذا علم ومشيئة وإرادة وقدرة فيعمل بقدرته وإرادته ما يرى بحسب ما وصل إليه علمه وشعوره أنه خير له والآيات الناطقة بأن الإنسان يعمل وأن بعمله تناط سعادته وشقاوته في الدنيا والآخرة كثيرة جدا وهو ليس في ذلك معارضا لمشيئة الله ولا مزيلا لها بل مشيئته تابعة لمشيئة الله ومظهر من مظاهرها وقد جرت سنته تعالى بأن يشاء لنا أن نعمل عندما يترجح في علمنا أن العمل خير من تركه وأن نترك عندما يترجح في علما أن الترك خير من الفعل كما هو معلوم لكل من يعرف ما هو الإنسان.

وعلى ضوء هذه الحقائق الثلاث نفهم معنى قوله تعالى: (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) أي برزوا بإرادتهم واختيارهم أي ما حصل القتل الثابت في علم الله تعالى إلا ببروزهم من بيوتهم إلى مواضع القتال التي يصرعون فيها. وبروزهم هذا من أعمالهم الاختيارية فليس في الآية محال ولا نصر لمذهب على مذهب وإنما هي جامعة للحقائق مستعلية على جميع المذاهب مبطلة لكل من دعوى الجبر المحض والتعطيل المحض ودعوى الذبذبة بينهما) انتهى.

أقول: ومن هذا يفهم أن الموت وانقضاء الأجل إنما يحصل بأسباب تدعو إليه وعوامل توجبه وتقتضيه فقد يقصف العمر قصفا وينقص عن مقداره الطبيعي بأسباب طبيعية وقد يزيد عن مقداره بأسباب طبيعية أيضا ولكن هذه الزيادة أو هذا النقصان معلوم لله تعالى ومكتوب عنده.

فالقتل في المعركة أو غيرها مكتوب، والنجاة من القتل معلومة ومكتوبة أيضا فأصبح لا يتنافى بين زيادة العمر ونقصانه، بحسب الطبيعة وبين عدم زيادته وعدم نقصانه بحسب علم الله تعالى كما قدمنا.

الآية التاسعة قوله تعالى في سورة آل عمران ١٥٦- (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لأخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) أي لا تكونوا أيها المؤمنون كهؤلاء الكافرين الذين قالوا لأخوانهم إذا ضربوا في الأرض – أي سافروا فيها للتجارة والكسب – فماتوا أو كانوا غزاة فقتلوا لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا حتى لا يكون ذلك منكم سببا في تحسرهم وغمهم الحاصل بحسب سنة الله وجعله فتضعفوا بذلك عزائمهم عن السفر لمصالحهم وعن الغزو والجهاد في سبيل الله. وهذه الآية لا تفيد أن هذا القول كفر وإنما تفيد أن الكافرين كانوا قد قالوا هذا القول للمؤمنين ليلقوا الحسرة والغم في قلوبهم. على أنه لا مانع من تسمية الذين يهبطون همم من يريدون الضرب في الأرض للتجارة والكسب والسعي على رزق العيال والذين يثبطون عزائم من يريدون الجهاد في سبيل الله باسم الكافرين كما سمت بعض آيات القرآن من ترك الحج مع الاستطاعة ومن حكم بغير ما أنزل الله باسم الكافرين وكما سمت بعض الأحاديث الزناة وتاركي الصلاة باسم الكافرين أيضا.

قال في تفسير المنار: (وقد سئل الأستاذ الإمام عند ذكر هذه الآية عن مسألة القضاء والقدر فقال: إنني أجيب بمثل ما أجبت به من سألني من غير المسلمين إذ قال لي أن عقيدة القضاء والقدر هي السبب في تأخر المسلمين عن غيرهم من الأمم فإنهم ينكرون الأسباب ولا يحفلون بها. فقلت له: إن ما ينتقد عن المسلمين في ذلك لا يرجع منه شيء إلى الإسلام الحقيقي الخالص فإن القضاء عبارة عن تعلق العلم الإلهي بالشيء والعلم انكشاف لا يفيد الإلزام.

والقدر وقوع الشيء على حسب العلم والعلم لا يكون إلا مطابقا للواقع وإلا كان جهلا أو كان الواقع غير واقع وهو محال. وهنا أمران كل منهما ثابت في نفسه أحدهما أن الله خالق كل شيء وثانيهما أن هذا النوع من المخلوقات الذي يسمى بالإنسان يعمل أعماله بقصد واختيار ويؤخذ من هذا أمران أيضا أحدهما أن الشيء متى وقع يعلم بعد وقوعه أنه لم يكون

منه بد وثانيهما أن الإنسان إذا كان يؤمن بأن لله عناية به وأنه قد يلهمه علم ما يجهل من أسباب سعادته ويوفقه إلى ما يعجز عنه من الأسباب بمحض حوله وقوته فإنه بهذا الإيمان يكون مع أخذه بالأسباب أنشط في العمل عند عجزه عنها بعد اليأس والكسل).

ثم قال: وقوله تعالى: (والله يحيي ويميت) أي والحقيقة أن الله تعالى يحيي من يشاء بمقتضى سننه في بقاء أسباب الحياة وإن طوي بالأسفار بساط كل بر، ونشر شراع كل بحر وخاض معامع الحروب وصارع الأهوال والخطوب ويميت من يشاء بمقتضى سننه في أسباب الموت وإن اعتصم في الحصون المشيدة وحرس بالجنود المجندة) انتهى.

أقول: يؤخذ من هذا أنه لا تناقض في حصول الأشياء بين كونها بحسب مشيئة الله وبين كونها بحسب أسبابها وحسب السنن الجارية فيها لأن تلك الأسباب والسنن قد رتبت بمشيئة الله أيضا. وحينئذ فزيادة العمر أو نقصانه بالقتل ونحوه وإن كان ذلك لبعض الأسباب الطبيعية الطارئة وبحسب السنن الجارية فإنه لا يتناقض في أن العمر لم يزد ولم ينقص لحظة واحدة بالنظر لعلم الله تعالى لأنه يعلم بأن هذه الزيادة وهذا النقص سيحدث بتلك الأسباب والسنن.

وبالجملة فقد ظهر واضحا وإن لم يقره المفسرون ما حاولت إثباته وعدم معارضته لآيات القرآن من أن العمر يزيد وينقص بحسب الزمن لبعض الأسباب والسنن وأنه لا يزيد ولا ينقص بحسب معلومات الله الشاملة حيث صرح بهذين الأمرين معا قوله تعالى: (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب).

وعليه فأنت ترى أن الآيات التي تدل بحسب ظاهرها على أن العمر لا يزيد ولا ينقص لا تنافي الآية التي تصرح بزيادة العمر أو نقصانه لأن تلك محمولة على علم الله تعالى الذي لا يعرفه احد منا وهذه محمولة على العمر الطبيعي الذي نرى ونشاهد دائما أنه يزيد وينقص بلا شك ولا ريب. وبهذا البيان ينحل الإشكال بين آيات القرآن ولا لزوم لأي تأويل أو أي تمحل مما قاله المفسرون وأطالوا فيه على غير جدوى مما لو اطلعت عليه لقضيت العجب من كثرة تمحلاتهم وشدة مناقشاتهم التي لا داعي إليها.

ومما تقدم تبين لك أن قول كثير من الناس فيمن أصابته رصاصة أو غرق في البحر مثلا فمات من أنه لو لم تصادفه هذه الرصاصة أو لم ينزل في البحر لمات في ذلك الوقت بعينه بسبب آخر لأن عمره قد فرغ هو قول في غير محله لأنهم غير واقفين على علم الله وإرادته في ذلك فربما لو لم تصادفه هذه الرصاصة أو لم ينزل البحر لا يكون هناك سبب آخر لموته فيبقى حيا ويعيش طويلا حسب استعداد جسمه ويكون هذا هو علم الله في ذلك.

ولكن الذي يمكن أن يقال بعد وقوع الأمر هو أنه قد ظهر أن لابد من وقوعه بهذا الشكل لأن الله تعالى قد علم أن زيدا سيسير في طريق هذه الرصاصة باختياره أو أنه سينزل في البحر بإرادته في ساعة كذا فتصادفه هذه الرصاصة أو يتغلب عليه موجب البحر فيموت وعلم الله لا يتخلف لأن جميع الأشياء المستقبلة، منكشفة إليه، معلومة له، والعلم إنما هو انكشاف فقط للمعلوم فلا جبر ولا تأثير فيه على المعلوم أبدا. فلو لم يمر زيد في طريق الرصاصة أو لم ينزل البحر لما مات في ذلك الوقت بعينه لأن جسمه قد يكون مستعدا للبقاء في الحياة مدة أخرى وهذا هو المشاهد المعقول الذي به ينحل التناقض بين آيات القرآن الكريم.